إنجيل متى ١٦: ١٣-٢٠؛ ١٠: ٣٢ و٣٣

الاعتراف العظيم

تأليف: تومي ساوث

«ولما جاء يسوع إلى نواحي قيصرية فيلبس، سأل تلاميذه قائلاً: من يقول الناس إني أنا ابن الإنسان؟ فقالوا: قوم يوحنا المعمدان، وآخرون إيليا، وآخرون إرمياء أو واحد من الأنبياء. قال لهم: وأنتم، من تقولون إني أنا؟ فأجاب بطرس وقال: أنت هو المسيح ابن الله الحي! فأجاب يسوع وقال له: طوبى لك يا سمعان بن يونا. إن لحماً ودماً لم يعلن لك، لكن أبي الذي في السموات. وأنا أقول لك أيضاً: أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها! وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السماء، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السماء. حينئذ أوصى تلاميذه أن لا يقولوا لأحد إنه يسوع» (متى ١٦: ١٣-٢٠).

«فكل من يعترف بي قدام الناس، أعترف أنا أيضاً به قدام أبي الذي في السموات. ولكن من ينكرني قدام الناس، أنكره أنا أيضاً قدام أبي الذي في السموات» (متى ١٠: ٣٢-٣٣).

وصول يسوع إلى قيصرية فيلبس يمثل نقطة تحول في حياته. من الواضح ان هذا أبعد مكان وصل إليه من أورشليم - يبعد عن أورشليم بحوالي ١٢٠ ميلاً. حالما ترك قيصرية فيلبس توجه مباشرة إلى صلبه. الآن قد انتهت معظم خدمته العامة؛ فصار في طريقه إلى الصليب. تقول الآية ٢١: «من ذلك الوقت، ابتدأ يسوع يظهر لتلاميذه أنه ينبغي أن يذهب إلى أورشليم ويتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة، ويقتل، وفي اليوم الثالث يقوم». بعد هذه الأحداث، كتب متى البشير نبوئتين أخريتين عن موت يسوع في أورشليم في ١٧: ٢٢ و٢٣؛ ٢٠: ١٧-١٩.

قبل ان تحدث آلامه وموته، كان على يسوع أن يعرف ما إذا كان أتباعه يفهمون ما كان يظهره لهم. هل عرفوا حقاً من كان هو؟ هل سيتبعون أثره إلى الصليب؟ قد تبعوه حتى الآن، ولكن إلى أي حد يريدون أن يمضوا؟ هل يرغبون في المضي؟ هل كانوا مقتنعين بألوهيته بما فيه الكفاية لكي يمضوا معه حتى الصليب؟ لأن كل هذه الأمور العظيمة كانت موضع الاعتبار، طرح يسوع السؤال عن هويته. فعل هذا بطريقة غير مباشرة في أول الأمر؛ إذ قال: «من يقول الناس إني أنا ابن الإنسان؟» أي بعبارة أخرى، كان يسأل: «ما هو الرأي العام عني؟» بدأ التلاميذ في الآية ١٤ يقدمون مختلف الإجابات: «قوم {يقول إنك} يوحنا المعمدان». يبدو بان هذا قد ساهم في خرافة هيرودس بان يسوع كان يوحنا المعمدان مقام من الأموات ليصتاده (متى ١٤: ١ و٢). «وآخرون {يقولون إنك} إيليا»، إذ لاحظوا ان يسوع كان إنساناً غير عادياً بلا شك، خاطر البعض بظنونهم انه كان ظهور أعظم نبي من أنبياء إسرائيل. فضلاً عن ذلك، كان النبي ملاخي قد تنبأ بانه ينبغي ان يأتي «إيليا» قبل مجيء المسيح (أنظر ملاخي ٤: ٥). «وآخرون {يقولون إنك} إرمياء أو واحد من الأنبياء» لم يعرف هؤلاء يقيناً من هو يسوع، ولكنهم كانوا يعترفون بانه شخصية عظيمة في تاريخ إسرائيل.

كانت تلك اقتراحات موقرة، وبدون شك قصدوا بها الثناء. ولكنهم كانوا على خطأ! لم يفي أي اقتراح بالحقيقة، إذ لم يدري من هو

يسوع حقاً.

اليوم أيضاً، لا يعرف الناس يسوع بانه على الأقل «إنسان عظيم». يصفه البعض بانه معلم رائع، أو فيلسوف عظيم، وقال آخرون انه نجم عظيم، أو إنسان به صفات إلهية، يقول الجميع حسناً، ولكنهم مثل هؤلاء الذين كانوا في أيام يسوع، بعيدين عن الحق. يجب ان يكون هذا إنذاراً لنا لأنه لا يمكن أبداً تعليم الحقيقة عن يسوع بطريقة الرأي العام!

عندما سمع يسوع أقوال الناس عنه بصفة عامة، يسأل تلاميذه الأن بطريقة مباشرة: «وأنتم، من تقولون إني أنا؟» (متى ١٦: ١٥). هذا هو الأمر عينه. لم يتوقع يسوع من الناس بصفة عامة ان يعرفوا هويته الحقة، ولكن ماذا عن أتباعه؟ ما الذي كانوا يفكرون به؟ هل فهموا كل تعليمه واظهار قواته، أم قد أُهدرت؟

تَختلف إجابة بطرس اختلافاً كبيراً عما كان يقوله الناس، إذ قال: «أنت هو المسيح ابن الله الحي» (متى ١٦: ١٦). عندما قال بطرس: «أنت هو المسيح» كان يعترف بحقيقة عظيمة ان يسوع هو «مسيا» إسرائيل. الذي مسحه الله وأرسله ليفدي شعبه. كان هذا اعترافاً عظيماً بحد ذاته. ولكن قال بطرس أكثر من ذلك، إذ أضاف: «... ابن الله الحي». كثير من اليهود كانوا يبحثون عن المسيا، ولكن لم يتوقع أحد ما في إسرائيل بان المسيا سيكون ابن الله! ولكن كان بطرس على حق لأن يسوع قال: «طوبى لك، يا سمعان بن يونا! إن لحماً ودماً لم يعلن لك، لكن أبي الذي في السموات». كون ان يسوع هو بالحقيقة المسيا وابن الله كلاهما هذا «اعتراف عظيم» يعترف به جميع المسيحيين، حتى في يومنا هذا. هذه الحقيقة هي «الصخرة» التي بنيت عليها الكنيسة.

كما في أي من المصطلحات الدينية الأخرى، نعترف أحياناً بيسوع انه «المسيح» و«ابن الله» ربما بدون ان ندرك ما يعنيه مثل هذا الاعتراف. ماذا يعني حقاً ان «تعترف بيسوع» انه المسيح وابن الله؟

قبول حقيقة

الكلمة «اعتراف» هي إساساً صيغة قانونية. تعني حرفياً «قول الشيء نفسه»، أي ان تتفق بشيء انه حقيقة. ادعى يسوع بانه المسيا وابن الله، وهكذا تصوره الأسفار المقدسة. علينا ان نقول الشيء نفسه (الذي يقوله الله، أي نعترف) وإلا فقد أنكرنا الحقيقة عنه. ربما بدأت الحياة وأنت تؤمن بشيء غير صحيح عن يسوع، أو ربما لا تؤمن بشيء على الاطلاق. ولكن لكي تصبح مسيحياً، عليك ان تصنع قراراً بخصوص شخصه وتعترف بتلك الحقيقة. كما كان في زمان يسوع وتلاميذه، هكذا يعني ان تتخذ موقف عكس أراء أغلب الناس.

ولكن قبول الحقيقة عن هوية يسوع، هو مجرد بداية الاعتراف به.

تعهد للمسيح

عندما تعترف بيسوع انه ابن الله، فانك لم تقبل حقيقة هويته فقط، بل تتخذ موقفاً عكس ظنون العالم وموصفاً نفسك به. عند اعترافك بيسوع، تعلن عن علاقة شخصية معه. هذا يشبه القَسَم عند الزواج عندما يعلن الرجل (أو المرأة): «أقبلك لتكوني زوجتي (أو أقبلك لتكون زوجي)». يسمي الرسالة إلى العبرانيين ٣: ١ يسوع بانه «رسول اعترافنا ورئيس كهنته»، لأنه عندما نعترف به، يكون هو رسولنا ورئيس كهنتنا. تحثنا الرسالة إلى العبرانيين ٤: ١٤ ان نتمسك «بالإقرار {أي بالاعتراف}».[1] أي بعبارة أخرى، لا تتخلى عن العلاقة أبداً!

إذا اعترفت بيسوع، فقد تعهدت بولاءك له. وإن لم تعترف به، فأنت «غير متعهد له».

تلزم نفسك لتكون تلميذاً

من يعترف بيسوع يقبل النموذج الذي عاش به يسوع وعلم كلمته كنموذج لحياته. شجع

[1] أنظر ترجمة «كتاب الحياة». ترجمة تفسيرية.

بولس أهل كورنثوس أن يعطوا بسخاء لحاجات الفقراء في اليهودية: «إذ هم باختيار هذه الخدمة يمجدون الله على طاعة اعترافكم لإنجيل المسيح وسخاء التوزيع لهم وللجميع» (٢ كورنثوس ٩: ١٣). نحن «نعترف» بالإنجيل إذ نحيا حياة الطاعة! ليست كل الشهادات شفهية! فالحياة التي تحياها هي اعتراف بمن هو أو من ليس هو سيدك الحقيقي وبماذا تؤمن. في الرسالة إلى تيطس ١: ١٦ استنكر بولس أعمال الذين «يعترفون بأنهم يعرفون الله، ولكنهم بالأعمال ينكرونه، إذ هم رجسون غير طائعين، ومن جهة كل عمل صالح مرفوضون». يمكن ان نعترف بالمسيح شفهياً وفي الوقت نفسه ننكره بالأعمال. الاعتراف الشفهي بالمسيح دون {ان يشمل} طريقة الحياة التي وضعها يسوع، يكون بلا قيمة. إذاً الاعتراف بالمسيح لا ينتهي أبداً. نحن نعترف مبدئياً في وقت معموديتنا في المسيح، ولكن ذلك هو مجرد بداية. وبقية الاعتراف يحدث يومياً طول فترة حياتنا.

تختار الحياة أم الموت

بعد ما هنّأ يسوع بطرس بسبب طبيعة اعترافه السماوي، قال: «وأنا أقول لك أيضاً: أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها» (متى ١٦: ١٨). الاعتراف الحسن هو أمر بالغ الأهمية في الملكوت. إما اننا في الملكوت أو خارجه، يتوقف هذا على رغبتنا في ان نعترف بان يسوع هو المسيح وابن الله. قال بولس: «لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت. لأن القلب يؤمن به للبر، والفم يعترف به للخلاص» (رومية ١٠: ٩ و١٠). يسوع نفسه قال في وقت سابق بما يختص بطبيعة الاعتراف الحاسم: «فكل من يعترف بي قدام الناس، أعترف أنا أيضاً به قدام أبي الذي في السموات. ولكن من ينكرني قدام الناس، أنكره أنا أيضاً قدام أبي الذي في السموات» (متى ١٠: ٣٢ و٣٣). جاء هذا التصريح بعد الإنذار عن خطورة التلمذة. بغض النظر عن الصعوبات، قال يسوع بان اعترافنا هو روحياً مسألة الحياة والموت. سلط يوحنا الضوء على خطورة إنكار يسوع، إذ قال: «من هو الكذاب؟ إلا الذي ينكر أن يسوع هو المسيح. هذا هو ضد المسيح الذي ينكر الآب والابن. كل من ينكر الابن، ليس له الآب أيضاً. ومن يعترف بالابن، فله الآب أيضاً» (يوحنا الأولى ٢: ٢٢ و٢٣).

إذا كنت قد اعترفت علانياً بان يسوع هو المسيح وابن الله، فقد صنعت قراراً للحياة؛ وإن كنت ترفض حتى الآن مثل هذا الاعتراف، فقد صنعت قراراً للموت.

من السهل ان نقول ما يقوله الآخرون عن يسوع، وعندئذ نكون قد نقلنا الخبر فقط، دون ان نعترف أو نتعهد بحياتنا بأي شكل كان. ما هو مدى الصعوبة في ان تتخذ لنفسك موقفاً: ولكن قرارك هو كل ما في الأمر. حتى وإن كان للناس ظنون صحيحة عن يسوع، كان ينبغي على التلاميذ انفسهم أيضاً أن يعترفوا بهويته.

الخلاصة

كان اعتراف بطرس في قيصرية فيلبي هو بالحقيقة نقطة تحول في خدمة يسوع وفي حياة بطرس. إذا قررت ان تعترف به سيكون ذلك نقطة تحول في حياتك. بالنظر الشامل، يتضمن الاعتراف على الإيمان، والتوبة، والمعمودية بيسوع المسيح. هل صنعت القرار؟

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧